المبحث الثاني

المفاجأة الإستراتيجية

* المفاجأة الإستراتيجية يقرها رئيس الدولة ويشرف عليها شخص مسئول واحد وتتم فى إطار كامل من السرية والمركزية، وتبدأ المفاجأة الإستراتيجية زمنيا منذ اتخاذ قرار الإعداد للحرب والبدء فى تنفيذه وتمتد حتى البدء الفعلى للأعمال العسكرية، وتختص المفاجأة الإستراتيجية بجعل مسألة الأعداد للحرب فى إطار من السرية الكاملة عن طريق تنفيذ عملية واسعة من الخداع والتضليل المعلوماتى، بحيث يتثنى تجهيز القدرات الذاتية لتكون فى وضع يؤهلها للحرب وتحقيق النصر اعتمادا على امتلاك عنصرى المبادأة والمفاجأة ، وفى المقابل تعمل عملية الخداع والتضليل على إيجاد حالة من الاسترخاء او بالأصح التخدير لدى العدو طوال فترة الإعداد للحرب ، بحث تكتمل الاستعدادات دون أن يعرف العدو شيئا عنها ، ويقوم الإعلام بالدور الرئيسى فى تنفيذ وتحقيق المفاجأة الإستراتيجية من خلا قيامه بتنفيذ أعمال التضليل والخداع والحرب النفسية ، وقبل هذا التحكم فى حجم ونوعية المعلومات والتأثير فى تفسير هذه المعلومات لدى العدو ....وقد حدد رب الإستراتيجية العسكرية فى العالم «كلاوزوفيتش» عدادا من العناصر اعتبرها أساسية عند صياغة اى إستراتيجية عسكرية ومنها :امتلاك زمام المبادرة وتحقيق المفاجأة وأولى المفاجأة اهتمام اكبر.

*والحق دائما ما يشهد به الأعداء فبعد تنفيذ المفاجأة والنصر فى حرب العاشر من رمضان السادس من أكتوبر واستعادة الكرامة والاحترام لمصر والعرب اعترف الأعداء قبل الأصدقاء وهذا ما قاله رئيس الاستخبارات العسكرية

الإسرائيلية اللواء ايلى زعيرا فى كتابه « حرب يوم الغفران: أسطورة فى مواجهة الواقع» لقد تبين لنا فعلا أن كل موضوعات الإعلام المصرى كانت حملة خداع من جانب الرئيس المصرى أو شخص بجواره... وان هذا ليعتبر اكبر نجاح لمصر فى حرب يوم الغفران ... وقال أيضا : غير أن العنصر الذى وضع بذكاء ونفذ بكفاءة كبيرة كانت عملية الخداع الإعلامية المصرية التى أسهمت أكثر من أى عنصر آخر فى عدم فهم أو تفسير الاستعدادات المصرية لعبور القناة.

* ولم يكن ما قاله رئيس المخابرات الإسرائيلية هو التعليق الوحيد على خطة الخداع الإعلامية بل قال الرئيس الأمريكى نيكسون : «انها لخيبة امل كبيرة من المخابرات المركزية الأمريكية سى .أى . إيه والتى كنا نظن أنها ممتازة ... إننا لم نعلم أن حرب 6 أكتوبر ضد إسرائيل إلا قبل ساعات قليلة من اندلاعها».. كما جاء فى مذكرات هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية فى عام 1973 حينما جاء إلى القاهرة فى زيارته الأولى لمقابلة الرئيس السادات فى الأيام الأخيرة من حرب أكتوبر وكانت هذه هى المرة الأول ى التى يزور فيها مصر وكذا لقائه الأول بالرئيس السادات قال كيسنجر للسادات «سيدى الرئيس قبل أى حديث بيننا ارغب من سيادتكم ان تقول لى كيف أمكن لمصر ان تخدعنا وتخدع مخابراتنا وتخدع العالم بهذ الخداع والتعتيم الإعلامى ... لقد كانت المفاجئة معجزة ولم تحدث لى من قبل فى حياتى.

* وهذه الشهادات ما هى إلا وجه من وجوة الحقيقة فقد ساهمت المفاجأة الإستراتيجية بقد كبير جدا فى إنجاح المفاجاة التكتيكية والتى تبدأ عند تحديد ساعة الصفر ،أى تحديد وقت الهجوم ، ومن ثم فهى تتحدد بناء على التنسيق بين صاحب القرار السياسى وبين القائد العام للقوات المسلحة ، كما تختص بنوع التسليح ومستوى تدريب القوات ومدى كفاءتهم وكذلك الأجهزة والمعدات الحربية المستخدمة ، والأهم هو المستوى القتالى المتميز للقوات والأسلحة والاستفادة منها ، واختيار اليوم المناسب للمفاجأة التكتيكية.

* وتهتم المفاجأة التكتيكية بتخطيط وتنفيذ عمليات حربية مفاجئة لا ينتظرها العدو ، وهذا ما حققته الضربة الجوية فى حرب أكتوبر عام 1973 والتى كانت مفتاح النصر، وكذلك طريقة العبور وأماكن الجسور ، ومستوى الأداء والتكتيكات العسكرية كلها حملت عنصر المفاجأة وما زالت حتى الآن عناصر تلك المفاجآت تدرس فى كبرى الأكاديميات العسكرية فى العالم.

* بعد أن قبلت تكليف الرئيس السادات بإعداد الدولة للحرب عدت إليه ومعى خطة المفاجأة والتى تعتمد على عدة ركائز منها:

أن نكسة العام 1967 أدت إلى حالة من الإحباط واليأس فى مصر والبلاد العربية وانتشرت الإشاعات والنكت التى تترجم تلك الحالة ، فقد كنا نتفاخر قبل هزيمة 5 يونية 1967 بأننا أقوى قوة فى منطقة الشرق الأوسط وأن باستطاعتنا تدمير إسرائيل، وأن نلقنها درسا لن تنساة إذا ما فكرت فى تهديد أى بلد عربى وقد كانت عاصفة التهويل غير قاصرة على الطبقات الشعبية بل إن هذا الكلام كان يردد على أعلى المستويات فى الدولة وفى الوقت نفسه يتم التهوين من قوة وقدرة إسرائيل ،وعندما بدأت الحرب لم يصدق إعلامنا ما حدث وأخذ يتخلى عن الحقيقة والصدق ويذيع أخبار الانتصارات العظيمة الكاذبة فى الوقت الذى كنا نلاقى فى أشد مرارات الهزيمة وأخذ الشعب يصدق تلك الأخبار لأنه قد سبق شحنه بأنه القوة الوحيدة والقادرة على قهر إسرائيل إذا ما لوحت أو حاولت الاعتداء على مصر والعرب وبعد ساعات قليلة كشف الغطاء عن أكبر كذبة إعلامية وأن الانتصارات ما هى إلا أكاذيب فكانت الحقيقة زلزالا هز الأمة العربية بأكملها .

* مضت عشرة أيام على الهزيمة كأنها عقود طويلة ، وخيم الحزن والأسى على كل المنازل وبكت الأعين حسرة ومرارة دما سبق الدموع ،وفى 15 يونيو 1967 اتصل بى الرئيس جمال عبد الناصر تليفونيا وطلب منى وضع خطة إعلامية للبلاد ولم أكن وقتها وزيرا للإعلام فقد تركت وزارة الإعلام عام 1966 ، وكان بالخطة جزء خاص بالقوات المسلحة المصرية التى كانت غير مسئولة عن الهزيمة بل قادة الجيش هم

من تسببوا فى الهزيمة ، وكان الهدف من تلك الخطة والجزء الخاص بالجيش لإزالة حالة الإحباط الشديدة فى القوات المسلحة وطلب منى الرئيس أن أعطى الجزء الخاص بالجيش إلى الفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة فى ذلك الوقت، فقد كانت تجربة يونية 1967 قاسية على المستويات الإعلامية والسياسية والعسكرية .. ولذلك كان فى تخطيطى لتقدير الموقف الإعلامى والسياسى دروسا كثيرة من تلك التجربة وهو ما قدمته فيما بعد للرئيس أنور السادات .

* وكان الفريق فوزى رحمه الله قد بذل جهدا كبيرا فى مرحلة حرب الاستنزاف وقد أشاد الجميع بما قامت به قواتنا المسلحة فى هذه الحرب .. ونعود هنا إلى ما طلبه الرئيس عبد الناصر فقد أتممت بالفعل ما طلبه ، وأذكر أنه حادثنى تليفونيا وقال لى « لم يكتف الإعلام بما فعله أثناء الحرب بل إننى سمعت أمس من الإذاعة المصرية نشيد... يدعو للحرب ثانية _راجعين راجعين بقوة السلاح راجعين.

وقد كانت الهزيمة فى 5 يونيو1967 مبعثا لإعادة التفكير من جديد فى كل شىء واستخلصت منها العديد من الدروس المفيدة التى يجب تداركها فى أى خطة إعلامية فى المراحل القادمة، وقد ذكرت فى خطتى تلك الدروس وبينت أننا لا بد ان نتعلم منها الكثير .. وستكون قرارات إعداد الدولة للحرب هى نتائج لهذه الدروس ، وقد حدثت بالفعل كل النتائج التى وضعتها فى خطة حرب إكتوبر وحقق بالفعل المفاجأة الإستراتيجية ، فقد انقسم التخطيط إلى ثلاثة أقسام ..قبل وبعد وأثناء المعركة والاحتمالات الثلاثة لاى حرب إما انتصار أولا انتصار أو لا هزيمة ولا انتصار أى لا غالب ولا مغلوب... وقد وضعت خطة إعلامية لكل احتمال وبينت مبدأ هام هو قول النبى صلى الله عليه وسلم «الحرب خدعة ، استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » وأن من يريد أن يحارب لا يعلن أنه سيحارب .. ولذلك فخطوط السياسة الجديدة تختلف كلية خططا وأسلوبا وتنفيذا خاصة وأننى مسئول دستوريا عن ذلك مع مسئوليتى كوزير إعلام مسئول عن الرقابة على كل المطبوعات والبرقيات والصحف .

* وقد حملت خطة المفاجأة الإستراتيجية بداخلها ما يوحى للعدو وحلفائه بأن كل ما يصدر عن الإعلام المصرى وقيادته السياسية ما هو إلا تهدئة للأوضاع الداخلية نتيجة حالة اليأس والإحباط وعدم الاستقرار وتضارب التصريحات المصرية وبلبلة الرأى العام المصرى والعربى ، بجانب دراسة مستفيضة للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية التى بلغت حدا من القوة ما جعلت الولايات المتحدة لا تعير لمصر اهتماما لما ترجوة من الولايات المتحدة ويكفى ما جاء فى كتاب « الارتقاء إلى العالمية Rise to Globalism» ل ستيفن امبروز – من الازدراء والاحتقار الذى لاقاه مبعوث الرئيس السادات عندما تقابل مع وزير الخارجية الأمريكية هنرى كيسنجر وقد ذكر ستيفن بالنص ما جاء على لسان كيسنجر« لقد تحدثت مع السيد حافظ إسماعيل حينما طلب مقابلتى وكان حديثى معه عن أحوال الجو وذلك لمجرد ان نبتعد عن الموضوع .. لقد راوغته فى الكلام .. لقد أخبرنى إسماعيل –عدة مرات –أنه لا يمكن استمرار الوضع الحالى ، وسألنى إذا لم تكن الولايات المتحدة قد استوعبت أنه ما لم يتم التوصل إلى اتفاق فلا بد أن تندلع حرب ... فلم تظهر على وجهى ابتسامة ، ولو طفيفة، بينما أخذت أضحك وأضحك فى أعماق قلبى .. حرب؟ مصر؟ لقد اعتبرته حديثا أجوفا ،ومباهاة يعوزها المضمون».

*وهكذا كانت نظرة العالم لنا عندما نتحدث عن الحل السياسى الذى يعيد لمصر والدول العربية حقوقها وأرضها الضائعة دون التضحية بكرامتنا وكبريائنا قبل أكتوبر وبات هذا المطلب صعب المنال بل بات مثيرا للسخرية إذا تحدثنا عنه مع اى من الأطراف الدولية المؤثرة وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية ، ويكفى الإشارة إلى لقاء حافظ إسماعيل مع كيسنجر ، وهو قول يبين نظرة أكبر دولة فى العالم صديقة لإسرائيل .. وما بها من إهانات وسخرية لمصر والعرب، وتواكب هذا مع قرار الرئيس السادات بترحيل الخبراء السوفييت وما تبعه من تباعد بينه وبين مصر فى الوقت ذاته زاد التقارب الامريكى السوفييتى الإسرائيلى.